# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(كولوسي ٣:٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تَظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرض الزِنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثن* لأنَّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِهِ* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل

## بابياس أسقف هيرابوليس والتقليد الشفهيّ

«لقد سمع بابياس من يوحنا... وكان أسقف مدينة هيرابوليس في مقاطعة آسيا. ألّف خمسة كتب فقط أطلق عليها اسم «تفسير أقوال الرب». في المقدّمة، يدّعي أنّه لا يتّبع آراء متناقضة، بل يتمسّك بما رواه الرسل. فيكتب (...): الكتب مفيدة بالنسبة إليّ عندما أقرأها. لكنها ليست مفيدة بقدر الكلمة الحيّة، التي يمكن سماعها إلى اليوم لدى أصحابها».

بهذه الكلمات، يعرّف القدّيس هيرونيموس (نحو ٣٤٧ – نحو ٤٢٠) بهذه الشخصيّة المجهولة إلى حدّ بعيد، أي بابياس أسقف هيرابوليس. ويتّفق المؤلّفون الكنسيّون الذين أتوا على ذكر بابياس، أنّه عاش في النصف الأوّل من القرن الثاني في آسية الصغرى (تركيا حالياً). وقد وضع، بشهادة إفسافيوس القيصريّ، كاتب «التاريخ الكنسيّ»، وهيرونيموس وكتّاب كنسيّين آخرين، كتاباً في خمسة أجزاء حاول أن يجمع فيه ما توافر من تقليد شفهيّ موثوق به عن يسوع وتلاميذه. إنّ شهادةً من هذا النوع تؤكّد أنّ التقليد الشفهيّ كان لا يزال يتمتّع بمركز مرموق في أواسط القرن الثاني، رغم أنّ الأناجيل الأربعة القانونية كانت قد باتت معروفة في غير وسط كنسيّ. حتى إنّنا نجد بابياس، في المقطع الذي اقتبسه القديس هيرونيموس والذي أوردناه أعلاه، يفضّل «الكلمة الحيَّة»، أي التقليد الشفهيّ، على المكتوب، وذلك رغم أنّه يعي أنّ المشافهة قد تولّد روايات متناقضة، ما يفترض تتبّع أخبار الرواة الثقات بتدقيق. وقد كان الإنجيلي لوقا، قبل بابياس بأجيال، قد أكّد أهميَّة تقصّي الأخبار المتعلّقة بيسوع كلها من الأوّل بتدقيق عبر الذين كانوا خدّام الكلمة ومعاينيها (راجع لو ١:٢-٤).

**العدد ٣/٢٠٠٥**
**الأحد ١٦ كانون الثاني**
**السجود لسلسلة القديس بطرس**
**الرسول الكلّي المديح المكرمة**
**اللحن الثامن**
**إنجيل السَحَر الحادي عشر**

المادة المتعلّقة بشخص الأسقف بابياس ليست ذات حجم كبير. وهي تطرح، في أيّ حال، عدداً من الأسئلة التي يبدو من الصعب الإتيان بأجوبة عنها. القديس إيريناوس أسقف ليون (توفي حوالي سنة ٢٠٠ ميلاديّة) يذكر، مثلاً، أنّ بابياس كان رفيق بوليكاربوس، أسقف ازمير، وأحد الذين عرفوا يوحنا بن زبدى، تلميذ الرب، وسمعوه. بيد أن إيريناوس لا يذكر

المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

## الإنجيل

(لوقا ١٧:١٢-١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عشرةُ رجالٍ بُرص ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم أمضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّهُ قد بَرِئَ رجعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجههِ عند قدَميهِ شاكراً لهُ وكان سامريًّا* فأجابَ يسوعُ وقالَ أليسَ العَشْرَةُ قد طهروا فأين التِسْعة* ألم يوجَدْ مَن يرجع ليمجِّدَ الله إلاَّ هذا الأجنبيَّ* وقال لهُ قُمْ وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصكَ.

## تأمل

يشرح الرسول بولس ثمر الروح فيقول: «إنّ الذين هم للمسيح يسوع صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات». وكأني به يقول: لقد شلّوه وجعلوه عاجزاً عن صنع الشرّ، بل وحاربوه بشدّة، فسَمَوا على الأهواء والشهوات. ذلك ما مصدر معلوماته. وقد شكّك المؤرّخ إفسافيوس القيصريّ لاحقاً في هذه الرواية مشيراً إلى أنّ بابياس ذاته لا يدّعي لذاته أيّ معرفة مباشرة بالرسول يوحنا، بل يكتفي بالقول إنّه جمع معلوماته في خصوص يوحنا مستنداً إلى الرواة الأقدمين: «ففي كلّ مرّة كنت ألتقي بأحد الذين تبعوا الشيوخ، كنت أوّد أن أعرف منه ما الذي كان يقوله من هم أكثر قدماً، أعني بهم أندرواس أو بطرس، فيليبس أو توما، يعقوب أو يوحنا أو متى أو أحد رسل الرب الآخرين، أو حتى أريستيون ويوحنا الشيخ، تلامذة الربّ».

ويلاحظ إفسافيوس أنّ بابياس يميّز هنا بوضوح بين يوحنا ابن زبدى، الذي كان من رسل الرب، ويوحنا الشيخ الذي يعتبره، بالإضافة إلى أريستيون، من تلامذة يسوع، لا من رسله المباشرين. ويبدو أنّ بابياس سمع مباشرةً من يوحنا وأريستيون. فهو، بحسب إفسافيوس، كثيراً ما يورد في كتبه الخمسة أقوالاً منقولة عنهما. كما يورد إفسافيوس كمًّا من المعلومات التي عثر عليها لدى بابياس. فيذكر، مثلاً، أنّ الرسول فيليبس سكن ردحاً من الزمن في مدينة هيرابوليس مع إبنتيه اللتين أقامتا أحد الأشخاص من بين الأموات. أمّا يوسف المدعو برسابا والمذكور في كتاب أعمال الرسل (١:٢٣) فقد شرب مادّةً سامّة، غير أنّه بنعمة الرب لم يمت. ولكنّ اللافت أنّ إفسافيوس، على وجه العموم، يتعامل بحذر مع المادة التي قرأها لدى بابياس. فهو، إذ يشير إلى أنّ بابياس ينقل عن السيّد بعض الأمثال التي لا يمكن العثور عليها في الأناجيل القانونيّة، لا يتوانى عن القول إنّه يورد أيضاً الكثير من «الأساطير» ويرتكب أخطاءً في تفسيره بعض كلمات الرسل على نحو مغالٍ في حرفيّته، كمثل ادّعاء بابياس أنّ ملكوت المسيح سيتحقّق على الأرض مدّة ألف سنة بعد القيامة العامّة من بين الأموات.

ولعل أبرز ما حضّ الكتّاب الكنسيّين والدارسين على الاهتمام بالأسقف بابياس، المعلومات التي يوردها عن كتّاب الأناجيل. فعن الإنجيلي مرقس يذكر انه كان «مترجماً» للرسول بطرس، وهو لم يعرف الرب مباشرةً، بل سمع أخباره من هامة الرسل. وقد نقل مرقس أحداث حياة السيّد كما تذكرها، لا بحسب الترتيب التاريخي الذي حصلت فيه. وعن متى الإنجيلي يقول بابيّاس إنه «رتّب كلمات / أقوال السيّد بالعبريّة، ثمّ ترجمها كما استطاع». لقد حار البحّاثة في معنى ملاحظات بابياس هذه. ففيما يختص بمرقس، قد يُستدل من عبارات بابياس أنّ بطرس ما كان يعرف اليونانيّة جيّداً، ما حدا به أحياناً إلى الاستعانة بتلميذه مرقس كمترجم. وإذا كانت معلومات بابياس بالنسبة إلى مرقس واضحة نسبياً، فهي تبدو غامضة تماماً بالنسبة إلى متى. هل يشير بابياس إلى الإنجيل أم إلى مجموعة من أقوال يسوع باللغة الآراميّة؟ ولماذا يستعمل كلمة «عبرية»؟ هل يُعقل أنّه كان يجهل الاختلاف بين العبريّة، لغة العهد القديم، والآراميّة، لغة اليهود في فلسطين أيّام يسوع؟ وما معنى قوله إنّ كلّ من كان في وسعه ترجم الكلمات كما استطاع؟ هل كانت ثمّة مجموعات عدّة من أقوال يسوع لم تصل إلينا مباشرةً، فترسّب بعضها في الأناجيل، وبقي بعضها الآخر متداولاً سنين طويلة في أوساط كنسيَّة لا نستطيع تتبّع آثارها؟ هذه النظريَّة قد يدعمها أنّ بعض الأناجيل المنحولة، أي تلك التي لم تعترف الكنيسة بأصالتها،

يـــودّ بـــولــس أن يشـيــر إليـه بقولـه: «لقد صلبوه». فـكـمـا أن الـذي عُـلّـق عـلـى الصليب وسُمّر بـالمسامير لا تـهـاجـمـه رغـائـب الـجـسد بـل تـتـعـطّل كـلّ الأهـــواء وكـلّ رغـبـة شـريـرة، لأنّ العذاب قد حطّمه واخترقه من طرف إلى آخـر، حتى إنّ الألـــم لـــم يـتـرك فـيـه موضـعـاً سـالمـاً، كذلك عـرف أولـئـك الـذيـن وقـفـوا ذواتهم للمسيح أن يتّحدوا بـــه اتّـــحـــاداً حـــمـــيـــمـــاً ويـهـزأوا مـن مسـتـلـزمـات الـجسـد، حتى إنّهم صلبوا أنـفـسـهـم مـع أهـوائـهـم وشهواتهم.

أمّا نحن الذين لبسوا الـمسـيـح وانـتـمـوا إلـيـه واستحقّوا أن ينالوا غذاءه وشرابه الروحيين، فلنرتّب حياتنا كأناس لا يرتبطون مــع أمـور هـذه الـحـيـــاة بشـيء مشـتـرك. فـهـا قـد صرنـا بـالفعل أعضـاءً فـي مدينة أخرى، في أورشليم الـسـمـاويـة. لـذا، أتـوسّـل إلـيـكـم أن نُـظـهـر مـــن خلال ممـارستـنـا للفضيلة أعمالاً تليق بـهذه المدينة الـجـديـدة، فـنـحظى بـنعمة سـمـاويـة وافـرة، بـواسطـة

تنقل أحياناً أقوالاً عن يسوع مختلفة عمّا نجده في الأناجيل. ولا تقتصر هذه الظاهرة على الكتب المنحولة. فبعض المجموعات الإسلاميّة أيضاً تنسب إلى يسوع، أو عيسى ابن مريم، كـلـمـات تـتـشـابـه تـارةً مـع نصّ الأنـاجـيـل وتـخـتـلف عنه طوراً. من الصعب، إذاً، إطلاق حكم تقييمي على كلمات بابياس، ولا سيّما أنّ نصّ كتابه لم يصل إلينا، والشذرات التي حـفـظـهـا لـنـا إفسافـيوس القيصري وغـيـره تـبـدو مقتَطَعةً من سياقها الأصلي. بـيـد أنّ الملاحظ أيضاً أنّ إفسافيوس نفسه لا يعطي أي تعليق على عبارات بـابياس المتعلّقة بكتّاب الأنـاجـيـل، مـا قـد يـوحـي بـأنـه، هـو نفسه، أحس بشيء من الحرج حيال غموض هذه العبارات.

مهما يكن من الأمر، فإنّ أسقف هيرابوليس يبقى شاهداً مهمًّا على الأهـمـيَّـة الـتـي أولاهـا المسيحيون للتقليد الشفهي عن يسوع في النصف الأوّل من القرن الثاني رغم أنّ معظم كـتـابـات الـعهد الجديد كانت آخذة بالانتشار وقد أضحى بعضها يحظى بـمـكـانـة مـرمـوقـة فـي الكـنـائس الـمـحـلـيَّـة، كـمـا تـدلّـنـا الـمـصـادر الـمـسـيـحـيَّـة الأولـى مـثـل كـتـابـات الـقـديسـيـن إغـنـاطـيـوس الإنطاكي ويوستينوس الشهيد.

## «في معمودية المسيح» للقديس غريغوريوس النيصصي

لقد وصلتنا مجموعة عظات لـلـقـديس غريـغـوريـوس الـنيصصي (٣٣٥-٣٩٤ م)، الـذي تُـعـيِّـد لـه الكنيسة المقدسة في العاشر من شهر كـانـون الـثـانـي. ومـع أن عدد هـذه العظات قليل إلاّ أنّها تحوي تنوعاً في الـمـوضـوعـات الـتـي تـطرَّق إلـيـهـا الـقـديس غريـغـوريـوس في عظاتـه

هذه. إحداها تلك التي ألقاها يوم عيد الظهور الإلهي عام ٣٨٣ والتي أُعـطـيت عـنـوان «فـي مـعـمـوديـة المسيح».

يبدأ القديس غريغوريوس عظته بـالـتـعـبـيـر عـن فرحه بـالمؤمنين المحتشدين في الكنيسة. وينتقل مباشرة للكلام عن الأسرار الإلهية التي تقتلع الخطيئة وتُعيدنا إلى حالتنا الأولى التي طبعها الله فينا. ثم ينطلق من معمودية الرب يسوع على يد يوحنا ليصل إلى معموديتنا التي هي إعادة ولادة، ليس جسدياً بل على صعيد الذهن. ويشدِّد على عمل الروح القدس في السر، وكيف أن الأشياء التي لا روح فيها ولا معنى تصير وسائل لأداء أعمال عظيمة، بقوة الله، كعصا موسى مثلاً. ثم يشرح بعد ذلك سبب استعمال الماء والتغطيس ثلاثاً على اسم الثالوث. ويورد أمثالاً من العهد القديم تُشير إلى المعمودية وإلى إعادة ولادتنا، مبيِّناً محبة الله للإنسان. ويصل إلى النقطة الأساسية في العظة وهي معنى إعادة الولادة هذه في الحياة اليومية، فالتغيير لا يصير في الظاهر، في الجسد وخصائصه بل في التصرف بحسب مشيئة الله، فنصير حقيقة أولاد الله.

المعمودية عند القديس غريغوريوس رمز للموت، لموتنا على شبه موت الرب يسوع. إنها بداية إعادتنا إلى حالتنا الأصلية الإلهية. يأخذ الماء مكان النار، لأن «كل من تطهَّر من الشر بواسطة المياه السرية لا حاجة له لأي نوع آخر من التطهير. أما الذين لم يتقدسوا على هذا المنوال، فسيُطهَّرون لا محالة بالنار».

لا يـتـغـيَّـر الشكل الـخـارجـي بالمعمودية، فالشيخ لا يعود شاباً ولا تزول التجاعيد من جسمه. ما يتجدَّد هو الإنسان الداخلي «والذي شاخ على العادات الشريرة يستعيد

الدعوة إلى تمجيد السيّد الذي يجده الآخرون فينا. فإنّ سيّدنا، عندما يتمجّد، سيسكب بدوره علينا وفير ما في حوزته من هبات، لأنّه يقبل إرادتنا الحسنة، ويعلم أنّ خيراته لن تلقى منّا سوء طويّة أو نكران جميل.

ألا تمسّكوا بالعهود التي قطعتموها مع السيّد، تلك التي لم تكتب بالمداد على الورق بل بالإيمان والإعتراف، فتستمرّ ثابتة غير متزعزعة. اجتهدوا في أن تثبتوا طول حياتكم في هذا التألّق عينه. فإذا ما رضينا بأن نبذل دوماً من عندنا، يمكننا أن نحافظ على اللمعان عينه، لا بل أن نضاعف تألّق نسيج ثوبنا الروحيّ. فإنّ بولس، بعد نعمة المعمودية، كان دوماً يَظهر، مع مرور الزمن، أكثر لمعاناً وتألّقاً بفضل النعمة التي كانت تتفتّح فيه.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

براءة الأطفال، بالنعمة الإلهية». بالمعمودية «نستعيد جمالنا الأصلي الذي طبعه فينا الله، الفنان العظيم، عندما خلقنا».

على الإنسان المعتمد أن يظهر إيمانه وأن يتوب بالعودة عن الشر. وعليه أن يعمل هذا بملء إرادته، «لأن الكائنات غير العاقلة فقط تُجبر على فعل أي شيء بإرادة آخر». النعمة تدعو الإنسان، وعلى الإنسان أن يجيب. بإرادته يقبل الإنسان النعمة المعطاة له في المعمودية. وعلامة الولادة الجديدة هي «الميل نحو الأفضل». نعمة المعمودية تشهد أن الإنسان المعتمد قد مُنح الصفح والرحمة، إلاّ أنه لا يصبح حكماً ذا فضيلة.

«الرجل الذي قَبِلَ مياه إعادة الولادة هو بمثابة المحارب الذي انخرط حديثاً في الجندية، ولم يُظهر بعد الروح القتالية والشجاعة». «يتطلّب الإيمان رفقة أخته التي هي حياة الفضيلة». بالمعمودية يولد الإنسان من جديد كابن لله، ومن وُلد هكذا عليه أن يكون شبيهاً بأهله. «إذا لم يثبت الإنسان نسبه الشريف من خلال أعماله، كان ذلك علامة سيئة. ليس هو ابناً شرعياً، بل ولد لقيط».

إن الذين اعتمدوا ولكنهم لم يغيِّروا حياتهم يقدّمون البرهان على أن نفوسهم لم تتنقَ من دنس الأهواء. «فالماء يبقى ماءً لأن المولود جديداً لم يظهر مواهب الروح القدس، فالمسيح الذي أَتْحَدَ الإنسان مع الله، يُتْحِدُ فقط من هو أهل للإشتراك مع الألوهة». على الإنسان المعتمد جديداً أن يظهر انه اختار بملء إرادته أن يعيش حياة جديدة. «بمقدار ما نجاهد للعيش حياةً تليق بالله، بالمقدار نفسه تتقدَّس نفوسنا». هناك إذاً تعاضد بين النعمة الإلهية وإرادة الإنسان الحرة في العيش وفق مشيئة الله.

«حياتي تغيَّرت إلى حياة أخرى: لقد تعلّمت أن أزدري الأشياء التي في العالم، وأن أنتقل من خلال الأمور الأرضيَّة إلى الأمور السماويَّة، كما شهد بولس بوضوح، أن العالم صُلب له، وهو للعالم. هذه هي كلمات النفس المولودة جديداً، هذه هي كلمات المعتمد جديداً الذي يتذكر إعلان إيمانه أمام الله عندما مُنح السر، ووعده بأن يزدري كل الآلام وكل الملذات من أجل محبة الله».

## الثبات في الإيمان

+ «إنكم إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفونَ الحقَّ، والحقُّ يُحرِّركُم» (يو ٨: ٣١-٣٢).

+ «إن ثبتُّم فيّ وثَبَتَ كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكونُ لكم ... كما أحبَّني الآب كذلك أحببتُكُم أنا. أثبتُوا في محبَّتي. إن حفظتُم وصاياي تثبتُونَ في محبَّتي كما أني أنا قد حفظْتُ وصايا أبي وأثبتُ في محبَّته. كلَّمتُكُم بهذا لكي يَثْبُتَ فرحي فيكُم ويُكمَلَ فرحُكُم» (يو ١٥: ٧-١١).

## عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ١٦ كانون الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥ في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**
**www.quartos.org.lb**